

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ
الْبَيَانَ ﴿٤﴾.

و ﴿الرحمن﴾ مبتدأ وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترابطة، وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد، كما تقول: زيد أغناك بعد فقر، أعزك بعد ذلك، كثرك بعد قلة، فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد فما تنكر من إحسانه.

الشمس والقمر بحسبان ﴿٥﴾.

﴿بحسبان﴾ بحساب معلوم وتقدير سوى ﴿يجريان﴾ في بروجهما ومنازلهما وفي تلك منافع للناس عظيمة منها علم السنين والحساب.

والنجم والشجر يسجدان ﴿٦﴾.

﴿والنجم﴾ والثبات الذي ينجم من الأرض لا ساق له كالبقول، ﴿والشجر﴾ الذي له ساق. وسجودهما: انقيادهما لله فيما خلقا له وأنهما لا يمتنعان تشبيهاً بالساجد من المكلفين في انقياده.

فإن قلت: كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن؟ قلت: استغنى فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم أن الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره. كأنه قيل: الشمس والقمر بحسبان، والنجم والشجر يسجدان له.

فإن قلت: كيف أخل بالعاطف في الجمل الأول ثم جيء به بعد؟ قلت: بكت بتلك الجمل الأول واردة على سنن التعديد ليكون كل واحدة من الجمل مستقلة في تقرير الذين أنكروا الرحمن وآلاءه، كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدمته. ثم رد الكلام إلى منهاجه بعد التبيكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف.

فإن قلت: أي: تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف؟ قلت: إن الشمس والقمر سماويان، والنجم والشجر أرضيان، فبين القبوليين تناسب من حيث التقابل. وأن السماء والأرض لا تزالان تنكران قرينتين وأن جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر. وقيل: علم القرآن جعله علامة وآية. وعن ابن عباس رضي الله عنه: الإنسان آدم.

﴿أشياعكم﴾ أشباهكم في الكفر من الأمم.

وكلُّ شئٍ فعَلُوهُ في الرِّبْرِ ﴿٥٧﴾.

﴿في الرِّبْرِ﴾ في نواوين الحفظة.

وكلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَظَرٌ ﴿٥٨﴾.

﴿وكل صغير وكبير﴾ من الأعمال ومن كل ما هو كائن ﴿مستطر﴾ مسطور في اللوح.

إِنَّ اللَّيْلَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٌ ﴿٥٩﴾.

﴿ونهر﴾ وانهار اكتفى باسم الجنس. وقيل: هو السعة والضياء من النهار. وقرئ: بسكون الهاء، ونهر جمع نهر كاسد وأسد.

في مَعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُنْتَدِرٍ ﴿٦٠﴾.

﴿في معقد صدق﴾ في مكان مرضي. وقرئ: في مقاعد صنق ﴿عند ملك مقتدر﴾ مقربين عند ملك مبهم أمره في الملك والاقترار فلا شيء إلا وهو تحت ملكه وقدرته، فأى منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها. عن رسول الله ﷺ: من قرأ سورة القمر في كل غيب بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة الدرة^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الرحمن مكية

عدد الله عز وعلا آياه فأراد أن يقدم أول شيء ما هو أسبق قدماً من ضروب آياته^(٢) وأصناف نعمائه وهي نعمة الدين فقدّم من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها وأقصى مراقبها وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه. لانه أعظم وحي الله رتبة وأعلاه منزلة وأحسنه في ابواب الدين أثراً، وهو سنن الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها. وأخر نكر خلق الإنسان عن نكره، ثم اتبعه إياه ليعلم أنه إنما خلقه للدين وليحيط علماً بوحيه وكتبه وما خلق الإنسان من أجله، وكان العرض في إنشائه كان مقدماً عليه وسابقاً له. ثم نكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان، وهو المنطق الفصيح المعرب^(٣) عما في الضمير.

(١) أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي والزليعي 392/3.

(٢) قال أحمد: تغير من هذا الكلام قوله: أن خلق الإنسان كان الغرض فيه، أي: المراد منه أن يحيط علماً بالكتب والوحي، ويعوض بانفراد خلقه أن يدعى إلى ذلك، لا أن يقع ذلك منه، فهذا هو المراد العام، ثم منهم من أراد الله منه أن يحيط علماً بالدين فيفسر له ذلك، ومنهم من أراد ضلالته وجهالته فيبعد عنه ولم يوفق، والله الدقيق للصواب.

(٣) قال أحمد: وإنما خص الجمل الأول بنكرها تبيكيتاً للإنسان لاجل =

التصاق معانيها به، إلا ترى أنه منكر فيها نطقاً وإضماراً وحفناً ملولاً عليه في الكلام، فهو منطوق به مظهر في قوله: ﴿خلق الإنسان﴾ ومضمراً في قوله: ﴿علمه البيان﴾ ومدلولاً على حذفه في قوله: ﴿علم القرآن﴾ فإنه المفعول الثاني أما قوله: ﴿الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان﴾ فليس للإنسان فيها نكر البتة، وجل المقصود من سياقهما التنبيه على عظمة الله تعالى.

وعنه أيضاً: محمد رسول الله ﷺ. وعن مجاهد: النجم نجوم السماء.

وَأَلْسَمَاءَ رَفَعًا وَرَوَّحَ الْيَرِيَّاتِ ﴿٧﴾.

﴿والسماء رفعتها﴾ خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ أحكامه ومصدر قضاياه، ومنتزل أوامره ونواهيه، ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على أنبيائه. ونبه بذلك على كبرياء شانه وملكه وسلطانه ﴿ووضع الميزان﴾ وفي قراءة عبد الله: وحفص الميزان، وأراد به كل ما توزن به الأشياء وتعرف مقاييرها من ميزان وقرسطون ومكيالي ومقياس أي: خلقه موضوعاً مخفوضاً على الأرض حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في أخذهم وإعطائهم.

أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْيَرِيَّانِ ﴿٨﴾.

﴿الآن تطغوا﴾ لثلاث تطغوا، أو هي أن المفسرة وقراء عبد الله: لا تطغوا، بغير أن على إرادة القول.

وَأَثِمُوا أَلْوَزَكِ أَتَقْتِطِ وَلَا تُخَيِّرُوا الْيَرِيَّانَ ﴿٩﴾.

﴿وأتثموا الوزن بالقسط﴾ وقوموا وزنكم بالعدل ﴿ولا تخسروا الميزان﴾ ولا تنتقصوه. أمر بالتسوية ونهي عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان. وكثر لفظ الميزان تشديداً للتوصية به وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه. وقرئ: والسماء بالرفع. ولا تخسروا بفتح التاء، وضم السين، وكسرهما وفتحها، يقال: خسر الميزان يخسره ويخسره. وأما الفتح فعلى أن الأصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل.

وَالْأَرْضِ وَصَعَهَا لِلْأَنَارِ ﴿١٠﴾.

﴿ووضعها﴾ خفضها مدحوة على الماء ﴿للأنام﴾ للخلق وهو كل ما على ظهر الأرض من دابة. وعن الحسن: الإنس والجن. فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها.

فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾.

﴿فاكهة﴾ ضروب مما يتفكه به ﴿والأكمام﴾ كل ما يك ما أي: يغطي من ليفه وسعفه وكفراه وكله منتفح به كما ينتفع بالمكثوم من ثمره وجماره وجنوعه. وقيل: الأكمام أوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف.

وَأَلْقَى ذُرَّ النَّصَبِ وَالرَّيْحَانَ ﴿١٢﴾ فَيَأْتِي آلَاءَهُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْعَصْفَارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴿١٥﴾.

﴿العصف﴾ ودق الزرع وقيل: التبثن ﴿والريحان﴾

الرزق وهو اللب. أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه. والجامع بين التلذذ والتغذي وهو تمر النخل وما يتغذى به وهو الحب. وقرئ: والريحان بالكسر، ومعناه: والحب ذو العصف الذي هو علف الأنعام، والريحان الذي هو مطعم الناس. وبالضم على ونو الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. وقيل: معناه وفيها الريحان الذي يشم وفي مصاحف أهل الشام، والحب ذو العصف والريحان، أي: وخلق الحب والريحان، أو وأخص الحب والريحان، ويجوز أن يراد وذا الريحان فيحذف المضاف ويقام المضاف إليه مقامه.

فَيَأْتِي آلَاءَهُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١١﴾ رَبُّ الْمَرْوِيِّ رَبُّ الْمَرْوِيِّ ﴿١٢﴾ فَيَأْتِي آلَاءَهُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾.

والخطاب في ﴿ربكما تكذبان﴾ للثقلين بدلالة الأنام عليهما. وقوله: سنفرغ لكم أيها الثقلان. الصلصال الطين اليابس له صلصلة. والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف.

فإن قلت: قد اختلف التنزيل في هذا وقوله عز وجل من حمأ مسنون من طين لازب من تراب! قلت: هو متفق في المعنى ومفيد أنه خلقه من تراب جعله طيناً ثم حمأ مسنوناً ثم صلصالاً و﴿الجان﴾ أبو الجن وقيل: هو إبليس. والمارج للهب الصافي الذي لا سخان فيه. وقيل: المختلط بسواد النار، من مرج الشيء إذا اضطرب واختلط به.

فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿من نار﴾؟ قلت: هو بيان لمارج كانه قيل: من صاف من نار أو مختلط من نار، أو أراد من نار مخصوصة. كقوله تعالى: ﴿فإنذرتكم نارا تلقى﴾ (١) قرئ: رب المشرقين ورب المغربين بالجر بدلاً من ربكما، وأراد مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما.

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَمِسَانِ ﴿١٤﴾.

﴿مرج البحرين﴾ أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقين لا فصل بين المائين في مرأى العين.

يَتَّبِعُهُمَا بَرَّحٌ لَأَبْيَآنِ ﴿١٥﴾ فَيَأْتِي آلَاءَهُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾.

﴿بينهما برزخ﴾ حاجز من قدرة الله تعالى ﴿لا يبغيان﴾ لا يتجاوزان حثيبيهما ولا يبغي أحدهما على الآخر بالمازجة. قرئ:

يَخْرُجُ مِنْهَا الْوُجُودُ وَالْمَرْيَاتِ ﴿١٧﴾ فَيَأْتِي آلَاءَهُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾.

قرئ: يخرج، ويخرج من أخرج وخرج ويخرج - أي: الله عز وجل - اللؤلؤ والمرجان بالنصب ونخرج بالنون. واللؤلؤ الدر، والمرجان هذا الحرز الأحمر وهو البسذ. وقيل: اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره.

يَسْتَلْهُمْنَ فِي السَّبَّوْتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُمْ فِي شَأْنٍ ﴿٣٤﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٣٥﴾.

﴿كل يوم هو في شأن﴾ أي: كل وقت وحين يحدث أموراً ويجدد أحوالاً. «كما روي عن رسول الله ﷺ أنه تلاها فقليل له: وما ذلك الشأن؟ فقال: من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين»⁽⁵⁾. وعن ابن عيينة: الدهر عند الله تعالى يومان: أحدهما اليوم الذي هو مد عمر الدنيا فشأنه فيه الأمر والنهي والإماتة والإحياء والإعطاء والمنع، والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب، وقيل: نزلت في اليهود حين قالوا: إن الله لا يقضي يوم السبت شيئاً. وسأل بعض الملوك وزيره عنها فاستمهله إلى الغد وذهب كثيراً يفكر فيها. فقال غلام له أسود: يا مولاي أخبرني ما أصابك لعل يسهل لك على يدي فأخبره. فقال له: أنا أفسرها للملك. فاعلمه. فقال: أيها الملك شأن الله أن يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ويشفي سقيماً، ويسقم سليماً، ويبتلي معافاً، ويعافي مبتلى، ويعز ثليلاً ويذل عزيزاً، أو يفرق غنياً ويفني فقيراً.

فقال الأمير: أحسنت، وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة، فقال: يا مولاي هذا من شأن الله، وعن عبد الله بن طاهر أنه دعا الحسين بن الفضل وقال له: أشكلت على ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لي، قوله تعالى: ﴿فأصبح من الندامين﴾⁽⁶⁾ وقد صح أن الندم توبة، وقوله تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾. وقد صح أن القلم قد جف بما هو كائن إلى يوم القيامة، وقوله تعالى: ﴿وإن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾⁽⁷⁾ فما بال الأضعاف. فقال الحسين: يجوز أن لا يكون الندم توبة في تلك الأمة ويكون توبة في هذه الأمة لأن الله تعالى خص هذه الأمة بخصائص لم يشار لهم فيها الأمم. وقيل: إن ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله. وأما قوله: ﴿وإن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾⁽⁷⁾ فمعناه ليس له إلا ما سعى عدلاً ولي أن أجزيه بواحدة ألفاً فضلاً. وأما قوله: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ فإنها شؤون يبديها لا شؤون يبتدئها. فقام عبد الله وقبّل رأسه وسوّغ خراجه.

سَتَرُ لَكُمْ أَنَّهُ الْفَلَّاحُ ﴿٣٦﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٣٧﴾.

فإن قلت: لم قال منهما، وإنما يخرجان من الملح⁽¹⁾! قلت: لما التقيا وصار كالشيء الواحد جاز أن يقال: يخرجان منهما. كما يقال: يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه. وتقول: خرجت من البلد، وإنما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من بوره. وقيل: لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والغب.

وَهُ أَجْوَارِ الْفُلُتَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْفُلُكُمِ ﴿٣٨﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٣٩﴾.

﴿الجواري﴾ السفن وقرى: الجوار بحذف الياء ورفع الراء ونحوه:

لهاشنايا اربع حسان واربع فكلهاثمان
و﴿المنشآت﴾ المرفوعات الشرع وقرى: بكسر الشين وهي الرفاعات الشرع أو اللاتي ينشئن الأمواج بجريهن. والأعلام جمع علم وهو الجبل الطويل.

كُلٌّ مِّنْ عَلِيًّا فَإِنَّهُ ﴿٤٠﴾

﴿عليها﴾ على الأرض.

وَرَبِّيَ وَرَبَّهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٤١﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٤٢﴾.

﴿وجه ربك﴾ ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات. ومسكين مكة يقولون⁽²⁾: أين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان؟ و﴿ذو الجلال والإكرام﴾ صفة الوجه. وقرأ عبد الله: ذي على صفة ربك ومعناه: الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن أفعالهم، أو الذي يقال له: ما أجلك وأكرمك! أو من عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده. وهذه الصفة من عظيم صفات الله. ولقد قال رسول الله ﷺ: «الظن! بيأذا الجلال والإكرام»⁽³⁾. وعنه عليه الصلاة والسلام: «أنه مر برجل وهو يصلي ويقول: يا ذا الجلال والإكرام، فقال: «قد استجيب لك»⁽⁴⁾.

فإن قلت: ما النعمة في ذلك؟ قلت: أعظم النعمة وهو مجيء وقت الجزاء عقيب ذلك، كل من أهل السموات والأرض مفتقرون إليه فيسأله أهل السموات ما يتعلق بدينهم وأهل الأرض ما يتعلق بدينهم وديناهم.

(3) أخرجه الترمذي في كتاب: الدعوات، باب: في عقد التسبيح باليد (الحديث رقم: 3524).

(4) كتاب: الدعوات، باب: ما جاء في عقد التسبيح باليد (الحديث رقم: 3527).

(5) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب: فيما انكرت الجهمية (الحديث رقم: 202)، وأخرجه ابن حبان في كتاب: الرقائق، باب: العتق والزهد والقناعة (حديث رقم: 689).

(6) سورة العائده، الآية: 31.

(7) سورة النجم، الآية: 39.

(1) قال أحمد: هذا القول الثاني مرود بالمشاهدة، والصواب هو الأول، ومثله: ﴿ولولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ وإنما أريد إحدى القريتين هذا هو الصحيح الظاهر، وكما تقول: فلان من أهل ديار مصر، وإنما بلده محلة واحدة منها.

(2) قال أحمد: المعتزلة ينكرون الصفات الإلهية التي دأ عليها العقل، فكيف بالصفات السمعية؟ على أن من الأشعرية من حمل الوجهين واليدين والعينين على نحو ما ذكر، ولم ير بيانها صفات سمعية. ثم قال: فإن قلت: كيف عد هذا من الآلاء والنعيم وحاصله فناء الخلق؟ وأجاب: بأن معناه: أنهم يفتنون ثم يبعثون إلى دار الجزاء إلى دار النعيم المقيم الحقيق، بأن يكون هو النعيم لا غير.

﴿سنفرغ لكم﴾ مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سافرغ لك، يريد: سأتجرد للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنك حتى لا يكون لي شغل سواه، والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه. ويجوز أن يراد تنتهي الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهي عند تلك شؤون الخلق التي أرادها بقوله: ﴿كل يوم هو في شأن﴾⁽¹⁾ فلا يبقى إلا شأن واحد وهو جزاؤكم، فجعل ذلك فراغاً لهم على طريق المثل. وقرئ: سيفرغ لكم، أي الله تعالى. وسافرغ لكم وسنفرغ بالنون مفتوحاً ومكسوراً وفتح الراء وسيفرغ بالياء مفتوحاً ومضموماً مع فتح الراء. وفي قراءة أبي سنفرغ إليكم بمعنى سنقصد إليكم والثقلان الإنس والجن سمياً بذلك لأنهما ثقلا الأرض.

بِمَتَمَّرَ إِلَيْنِ وَالْإِنْسَ إِذْ أَسْتَعْتَمْتُمْ أَنْ تَعْتَدُوا مِنْ أَطْفَالِ الْمَكْرُورَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْتَدُوا لَا تَعْتَدُوا إِلَّا بِسُلْطَانِي ﴿٢٣﴾ فَإِنِّي ءَأَلَّوْا رِيكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٢٤﴾

﴿يا معشر الجن والإنس﴾ كالترجمة لقوله: أيها الثقلان ﴿إن استطعتم﴾ أن تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وأرضي فافعلوا. ثم قال: لا تقدرون على النفود، ﴿إلا بسطان﴾ يعني بقوة وقهر وغلبة، وإني لكم ذلك ونحوه وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء. وروي أن الملائكة عليهم السلام تنزل فتحيط بجميع الخلائق، فإذا رآهم الجن والإنس هربوا فلا يأتون وجهاً إلا وجدا الملائكة أحاطت به.

رُسُلٌ عَلَيْكَ سُوِّطٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصَرِكِانِ ﴿٢٥﴾ فَإِنِّي ءَأَلَّوْا رِيكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٢٦﴾

قرئ: ﴿شواظ﴾ و﴿نحاس﴾ كلاهما بالضم والكسر، والشواظ اللهب الخالص والنحاس النحاس، وأنشد:

تضيء كوضوء سراج السليبي طلم يجعل الله فيه نحاساً
وقيل: الصفر المذاب يصب على رؤوسهم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ إلى المحشر. وقرئ: ونحاس مرفوعاً عطفاً على شواظ، ومجروراً عطفاً على نار. وقرئ: ونحاس جمع نحاس وهو النحاس، نحو لحاف ولحف. وقرئ: ونحاس أي: ونقتل بالعذاب، وقرئ: نرسل عليكم شواظاً من نار ونحاساً ﴿فلا تنصركان﴾ فلا تمتنعان.

إِذَا أَنْقَضْتَ السَّمَاءَ فَكَانَتْ رَدَدًا كَالَّذِي هَانِ ﴿٢٧﴾ فَإِنِّي ءَأَلَّوْا رِيكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٢٨﴾

﴿وردة﴾ حمراء ﴿كالدهان﴾ كدهن الزيت. كما قال: كالمهل وهو بردى الزيت وهو جمع دهن أو اسم ما يدهن به كاللحزام والإدام قال:

كأنهما مزالمتا متعجل فريران لماندهنا بدهلن
وقيل: الدهان الأليم الأحمر. وقرأ عمرو بن عبيد ودة بالرفع بمعنى: فحصلت سماء ودة، وهو من الكلام الذي يسمى التجريد كقوله:

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة نحوي الغنائم أو يموت كريم
فَيُؤَيِّدُ لَا يَسْتُلُّ عَنْ ذِيْعِهِ إِشٌّ وَلَا جَانٌّ ﴿٢٩﴾ فَإِنِّي ءَأَلَّوْا رِيكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٣٠﴾

﴿إنس﴾ بعض من الإنس ﴿ولا جان﴾ أريد به ولا جن. أي: ولا بعض من الجن فوضع الجان الذي هو أبو الجن موضع الجن، كما يقال: هاشم ويراد ولده، وإنما وحد ضمير الإنس في قوله عن نبيه لكونه في معنى البعض. والمعنى: لا يسألون لأنهم يعرفون بسيما المجرمين وهي سواد الوجوه وزرقة العيون.

فإن قلت: هذا خلاف قوله تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾⁽²⁾ وقوله: ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾⁽³⁾ قلت: ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون في موطن ولا يسألون في آخر. قال قتادة: قد كانت مسألة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. وقيل: لا يسأل عن نبيه ليعلم من جهته ولكن يسأل سؤال توبيخ. وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد: ولا جان فراراً من التقاء الساكنين وإن كان على حده.

يَعْرِئُ الْمَكْرُورُونَ يَسْتَمِرُّ فَيُؤَعِّدُ بِالرُّؤْسِ وَالْأَنْدَامِ ﴿٣١﴾ فَإِنِّي ءَأَلَّوْا رِيكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٣٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَكْرُورُونَ ﴿٣٣﴾

﴿فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾ عن الضحك: يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره. وقيل: تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي، وتارة تأخذ بالأقدام.

يَطْرُقُونَ مِنْهَا مِنْ جِيبٍ مَأْوَى ﴿٣٤﴾ فَإِنِّي ءَأَلَّوْا رِيكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٣٥﴾

﴿حميم أن﴾ ماء حار قد انتهى حره ونضجه أي: يعاقب عليهم بين التصلية بالنار، وبين شرب الحميم. وقيل: إذا استغاثوا من النار جعل غياثه الحميم. وقيل: إن وادياً من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم، ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقاً جديداً. وقرئ: يطوفون من التطوف ويطوفون. أي: يتطوفون ويطافون. وفي قراءة عبد الله: هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليان لا تموتان فيها ولا تحييان يطوفون بينها. ونعمة الله فيما نكره من هول العذاب نجاة الناجي منه برحمته وفضله وما في الإنذار به من اللطف.

وَلَمَّا حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّانِ ﴿٣٦﴾ فَإِنِّي ءَأَلَّوْا رِيكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٣٧﴾ ذَوَاتَا

(3) سورة الصافات، الآية: 24.

(1) سورة الرحمن، الآية: 29.

(2) سورة الحجر، الآية: 92.

أَفَانٍ ﴿١٨﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٩﴾

تُكَذِّبَانِ ﴿٢٠﴾

﴿مقام ربه﴾ موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحوه لمن خاف مقامي ويجوز أن يراد بمقام ربه أن الله قائم عليه. أي: حافظ مهيم. من قوله تعالى: ﴿أقمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾⁽¹⁾ فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته. وقيل: هو مقحم كما تقوله: أخاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك. وأنشد:

ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل للعين
يريد: ونفيت عنه الذئب.

فإن قُلْتَ: لم قال ﴿جنتان﴾؟ قُلْتَ: الخطاب للثقلين كأنه قيل: نكل خائفين منكما جنتان: جنة للخائف الأنسي، وجنة للخائف الجنى، ويجوز أن يقال: جنة لفعل الطاعات، وجنة لترك المعاصي؛ لأن التكليف دائر عليهما. وأن يقال: جنة يثاب بها، وأخرى تضم إليها على وجه التفضل كقوله تعالى: ﴿وللذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾⁽²⁾ خص الأفنان بالنكر وهي الغصنة التي تتشعب من فروع الشجرة؛ لأنها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتني الثمار. وقيل: الأفنان ألوان النعم ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين قال:

ومن كل أفنان اللذائة والصبا لهوت به والعيش أخضر ناضر

فِي سَاءِ عِيَانٍ تَجْرِيَانِ ﴿٢٠﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾

﴿عينان تجريان﴾ حيث شأوا في الأعلى والأسفل. وقيل: تجريان من جبل من مسك. وعن الحسن: تجريان بالماء الزلال إحداهما: التسنيم والأخرى: السلسبيل.

فِي سَاءِ مِنْ كُلِّ فَرْكٍ زَوَّجَانِ ﴿٢٢﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾

﴿زوجان﴾ صنفان قيل: صنف معروف، وصنف غريب. كقولهم: عَلَى فَرْطٍ بَطَّيْنًا مِنْ سِتْرِيٍّ وَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَاوِيٍّ ﴿٢٤﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾

﴿متكئين﴾ نصب على المدح الخائفين، أو حال منهم؛ لأن من خاف في معنى الجمع. ﴿بطائنها من استبرق﴾ من ديباج ثخين وإذا كانت البطائن من الاستبرق فما ظنك بالظواهر، وقيل: ظواهرها من سندس، وقيل: من نور. ﴿دان﴾ قريب يناله القائم والقاعد والنائم. وقرئ: وجنى بكسر الجيم.

ذُرْبٌ قَلْبَرْتِ الْفَرْبِ لَرَّ بَلْبِيْتُهُنَّ إِسْ بَلْبُهُنَّ وَلَا جَانُ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٧﴾ كَأَنَّ الْبَابُ وَالْمَرِيَانُ ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا

﴿فيهن﴾ في هذه الآلاء المعودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى أو في الجنتين لاشتمالهما على أماكن وقصور ومجالس. ﴿قاصرات الطرف﴾ نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم. لم يطمث الإنسيات منهن أحد من الإنس ولا الجنيات أحد من الجن⁽³⁾ وهذا دليل على أن الجن يطمثون كما يطمث الإنس. وقرئ: لم يطمثهن بضم الميم.

قيل: هن في صفاء الياقوت، وبياض المرجان، وصفار الدر انصع بياضاً. قيل: إن الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراثها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء.

مَلَّ جَرَآءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٢٩﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾

﴿هل جزاء الإحسان﴾ في العمل ﴿إلا الإحسان﴾ في الثواب. وعن محمد بن الحنفية: هي مسجلة للبر والفاجر. أي: مرسله. يعني: أن كل من أحسن أحسن إليه، وكل من أساء أساء إليه.

وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٣١﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾

﴿ومن دونهما﴾ ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين ﴿جنتان﴾ لمن دونهم من أصحاب اليمين.

مُدْمَأَمَّتَانِ ﴿٣٣﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾

﴿مدمأمتان﴾ قداد هامتا من شدة الخضرة.

فِي سَاءِ عِيَانٍ سَخَّاتَانِ ﴿٣٥﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾

﴿نضاختان﴾ فوارتان بالماء. والنضخ: أكثر من النضج لأن النضج غير معجمة مثل الرش.

فإن قُلْتَ: لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها!

فِي سَاءِ فَرْكِهِ رَزْمَانٌ ﴿٣٧﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾

قُلْتَ: اختصاصاً لهما وبيانياً لفضلهما كأنهما لما لهما من المزية جنسان آخران. كقوله تعالى: ﴿وجبيريل وميكائيل﴾⁽⁴⁾ أو لأن النخل ثمره فاكهة وطعام، والرمان فاكهة ودواء، فلم يخلصا للتفكه. ومنه قال أبو حنيفة رحمه الله: إذا حلف لا ياكل فاكهة فاكل رماناً أو رطباً لم يحنث وخالفه أصحابه.

= صفة الأوليين، حتى قال: ﴿ومن دونهما﴾؛ لأنه قال: ﴿مدمأمتان﴾

ونلك دون نواتا أفنان ونضاختان، ونلك دون تجريان وفاكهة،

ونلك دون من كل فاكهة وكذلك صفة الحور.

(4) سورة البقرة، الآية: 98.

(1) سورة الرعد، الآية: 33.

(2) سورة يونس، الآية: 36.

(3) قال أحمد: يشير إلى الرد على من زعم أن الجن المؤمنين لا ثواب

هم، وإنما جزاؤهم ترك العقوبة وجعلهم تراباً. وقال في قوله:

﴿ومن دونهما جنتان﴾: إنما تقاصرت صفة هاتين الجنيتين عن =

الامر نزوله. يقال: وقع ما كنت أتوقعه. أي: نزل ما كنت أتربح نزوله.

فإن قُلْتُ: بم انتصب إذا؟ قُلْتُ: بليس. كقولك: يوم الجمعة ليس لي شغل، أو بمحذوف يعني: إذا وقعت كان كيت وكيت. أو بإضمار انكر.

لَيْسَ لِرُفْعِهَا كَذِبَةٌ ﴿٧٦﴾

﴿كاذبة﴾ (3) نفس كاذبة، أي: لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب؛ لأن كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات. كقوله تعالى: ﴿فلما راوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده﴾ (4) ﴿لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم﴾ (5) ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة. واللام مثلها في قوله تعالى: ﴿يا ليتني قدمت لحياتي﴾ (6) أو ليس لها نفس تكذبها وتقول لها: لم تكوني. كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبها بقلن لها: لن تكوني. أو هي من قولهم: كذبت فلاناً نفسه في الخطب العظيم، إذا شجعت على مباشرته. وقالت له: إنك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به. على معنى أنها وقعة لا تطاق شدة وقطاعة، وأن لا نفس حينئذ تحث صاحبها بما تحدثه به عند عظام الأمور وتزين له احتمالها وإطاعتها؛ لأنهم يومئذ أضعف من نك واذل، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿كالفرأش المبثوث﴾ (7) والفرأش مثل في الضعف وقيل: ﴿كاذبة﴾ مصدر كالعاقبة. بمعنى: التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب. أي: فما جبن وما تثبط. وحقيقته: فما كذب نفسه فيما حدثته به من إطاقته له وإقدامه عليه. قال زهير:

إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا
أي: إذا وقعت لم تكن لها رجعة ولا ارتداد.

خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٧٧﴾

﴿خافضة رافعة﴾ على هي خافضة رافعة ترفع أقواماً وتضع آخرين. إما وصفاً لها بالشدة؛ لأن الوقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس إلى مراتب ويتضع ناس، وإما لأن الأشقياء يحطون إلى الدرجات والسعداء يرفعون إلى الدرجات، وإما لأنها تزلزل الأشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضاً وترفع بعضاً، حيث تسقط السماء كسفاً وتنتثر الكواكب وتنكسر وتسير الجبال فتمز في الجو من السحاب. وقرئ: خافضة رافعة بالنصب على الحال.

إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٧٨﴾

﴿رجت﴾ حركت تحريكاً شديداً حتى ينهدم كل شيء

يَهْبِئُ حَيْرَتَهُ جِسَانٌ ﴿٧٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَكْذِبَانِ ﴿٨٠﴾

﴿خيرات﴾ خيرات فخفت كقوله عليه السلام: «هينون لينون» (1) وأما خير الذي هو بمعنى أخير فلا يقال فيه: خيرون ولا خيرات. وقرئ: خيرات على الأصل والمعنى: فاضلات الأخلاق حسان الخلق.

حُرٌّ مَفْصُورَةٌ فِي الْخِيَابِرِ ﴿٨١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَكْذِبَانِ ﴿٨٢﴾

﴿مقصورات﴾ قصرن في خدورهن يقال: امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة مخدرة، وقيل: إن الخيمة من خيامهن درة مجوفة.

لَمْ يَلْمِزْهُمْ عَشَاقٌ ﴿٨٣﴾ وَلَا جَانٌ ﴿٨٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَكْذِبَانِ ﴿٨٥﴾

﴿قبلهم﴾ قبل اصحاب الجنتين دل عليهم نكر الجنتين.

مُنْكَرِينَ عَلَى رُفُوفٍ خُضِرَ وَرَبَّرِي جِسَانِ ﴿٨٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَكْذِبَانِ ﴿٨٧﴾ تَبَرَّكُ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْعَرْشِ الْعَلِيِّ وَالْإِكْرَامِ ﴿٨٨﴾

﴿متكئين﴾ نصب على الاختصاص والرفرف ضرب من البسط. وقيل: البسط. وقيل: الوسائد. وقيل: كل ثوب عريض ررف. ويقال لأطراف البسط وفضول الفسطاط: رفارف، ورفرف السحاب: هيد به. والعبقري: منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنه بلد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب. وقرئ: رفارف خضر بضممتين، وعبقري كمدائني نسبة إلى عبقر في اسم البلد. وروى أبو حاتم: عبقري بفتح القاف ومنع الصرف وهذا الأوجه لصحته.

فإن قُلْتُ: كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الأوليين حتى قيل: ومن دونهما؟ قُلْتُ: مداهماتان نون نواتا أفنان، ونضاختان نون تجريان، وفاكهة نون كل فاكهة، وكذلك صفة الحور والمتكأ. وقرئ: ذو الجلال صفة للاسم عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الرحمن أدنى شكر ما أنعم الله عليه» (2).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الواقعة مكية

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾

﴿وقعت الواقعة﴾ كقولك: كانت الكائنة، وحدثت الحادثة، والمراد: القيامة. وصفت بالوقوع أنها تقع لا محالة. فكانه قيل: إذا وقعت التي لا بد من وقوعها. ووقوع

(1) تقدم في الفرقان.

(2) أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مروي في تفسيره وأخرجه الزيلعي 3/399.

(3) قوله تعالى: ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ قال فيه: كاذبة صفة تقدير موصوفاها نفس كاذبة.

(4) سورة غافر، الآية: 84.

(5) سورة الشعراء، الآية: 201.

(6) سورة الفجر، الآية: 24.

(7) سورة القارعة، الآية: 4.